

السؤال

تثار حاليا هذه الكلمة , هل يجوز قول " الأديان الإبراهيمية " ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

معركة المصطلحات من أخطر التحديات الفكرية التي يواجهها المفكرون والمتقفون ، بل عدها الأئمة والعلماء أحد أخطر المزالق التي يقع في مصيبتها المختصون ، فضلا عن غيرهم ؛ ذلك أن بريق المصطلح واعتياده يخفي وراءه الوجه الشاحب الذي يحمله ، ومع كثرة استعماله تختلط الأوراق ، وتتمرر المشاريع الهدامة ، ويغدو المحارب لذلك الوجه القبيح غريبا بين الناس ، وساعتئذ تكون قد نجحت الفكرة .

هذا هو حال مصطلحات " الأديان الإبراهيمية " ، أو " وحدة الأديان " ، أو " الديانة العالمية " ونحوها من الألقاب التي ظهر استعمالها في أواخر القرن الماضي ، كلها تحمل في طياتها معاني حسنة مقبولة ، كمثل التعايش ، والسلام ، ومعاملة أهل الكتاب بالبر والقسط كما أمر الله عز وجل ، بل ويمكن للمسلم أن يقصد كل ذلك تحت مظلة " عقد الذمة " الذي جاء به القرآن الكريم ، ولكن استعمال هؤلاء الملبسين لتلك المعاني الحسنة التي لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية ، إنما هو - في الغالب - جسر للمعاني الباطلة الهدامة ، وستار لحقيقة " الخلط " بين الأديان ، وليس مجرد " الحوار " ، بل الخلط الذي تفقد معه العقيدة الإسلامية جوهرها القائم على شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، لتصبح الفكرة الأهم هي الوصول إلى الله تعالى ، سواء عن طريق اليهودية أو النصرانية أو الإسلام ، فلا فرق عند أصحاب هذه الدعوة بين تلك الأديان ، فإنما هي طرق متعددة ومتكافئة تدل على الله عز وجل ، والله عز وجل يقول : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) آل عمران/85.

وهي دعوة سابقة قديمة ، أطلقها بعض اليهود والنصارى ، يريدون أن يتنازل المسلمون عن أحقية عقيدتهم ، بأن يقبلوا - على الأقل - اعتبار أديانهم أديان حق ونجاة في الآخرة ، ولكن كان الجواب واضحا صريحا في القرآن الكريم : (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) البقرة/135.

وحين أصروا على الانتساب إلى ملة إبراهيم عليه السلام كذبهم القرآن الكريم ؛ لأن ملة إبراهيم : إنما هي ملة التوحيد والإيمان بجميع الأنبياء ، واليهود والنصارى وقعوا في الشرك وفي تكذيب الأنبياء .

يقول الله جل وعلا : (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ

وَمَا أَنْزَلْنَا وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ . قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ . أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أأنتم أعلم أم الله وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (البقرة/135-141).

فتأمل كيف حصر طريق الهداية بطريق واحد ، وهو إيمان اليهود والنصارى بمثل ما آمن به المسلمون من التوحيد وشهادة أن محمدا رسول الله .

فإياك أن يغرك هذا الخلط ، الذي سماه القرآن الكريم " اللبس " ، وذلك في قوله جل وعلا : (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) البقرة/42 ، قال قتادة رحمه الله : " لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام ، إن دين الله الإسلام ، واليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله " انتهى من " تفسير ابن أبي حاتم " (1/98) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" قول القائل : المعبود واحد وإن كانت الطرق مختلفة ، ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تتضمن إما كون الشريعة النصرانية واليهودية المبدلتين المنسوختين موصلة إلى الله ؛ وإما استحسان بعض ما فيها مما يخالف دين الله ، أو التدين بذلك ، أو غير ذلك مما هو كفر بالله وبرسوله ، وبالقرآن وبالإسلام ، بلا خلاف بين الأمة الوسط في ذلك ، وأصل ذلك المشابهة والمشاركة " انتهى من " اقتضاء الصراط المستقيم " (1/540) .

ويقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله :

" ليعلم كل مسلم عن حقيقة هذه الدعوة : أنها فلسفية النزعة ، سياسية النشأة ، إحادية الغاية ، تبرز في لباس جديد ، لأخذ ثأرهم من المسلمين : عقيدة ، وأرضا ، وملكا ، فهي تستهدف الإسلام والمسلمين في :

1. إيجاد مرحلة التشويش على الإسلام ، والبلبلة في المسلمين ، وشحنهم بسيل من الشبهات ، والشهوات ؛ ليعيش المسلم بين نفس نافرة ، ونفس حاضرة .

2. قصر المد الإسلامي ، واحتواؤه .

3. تأتي على الإسلام من القواعد ، مستهدفة إبرام القضاء على الإسلام واندراسه ، ووهن المسلمين ، ونزع الإيمان من قلوبهم ، ووأده .

4. كف أقلام المسلمين وألسنتهم عن تكفير اليهود والنصارى وغيرهم ممن كفرهم الله ، وكفرهم رسوله صلى الله عليه وسلم - إن لم يؤمنوا بهذا الإسلام ، ويتركوا ما سواه من الأديان .

5. وتستهدف صياغة الفكر بروح العداء للدين في ثوب وحدة الأديان ، وتفسخ العالم الإسلامي من ديانته ، وعزل شريعته في القرآن والسنة عن الحياة ، حينئذ يسهل تسريحه في مجاهل الفكر ، والأخلاقيات الهدامة ، مفرغا من كل مقوماته ، فلا يترشح لقيادة أو سيادة ، وجعل المسلم في محطة التلقي لما يملى عليه من أعدائه ، وأعداء دينه ، وحينئذ يصلون إلى خسة الغاية :

القفز إلى السلطة العالمية بلا مقاومة .

6. وتستهدف إسقاط جوهر الإسلام واستعلائه ، وظهوره وتميزه ، بجعل دين الإسلام المحكم المحفوظ من التحريف والتبديل في مرتبة متساوية مع غيره من كل دين محرف منسوخ ، بل مع العقائد الوثنية الأخرى .

7. وترمي إلى تمهيد السبيل " للتبشير بالتنصير " والتقديم لذلك بكسر الحواجز لدى المسلمين ، وإخماد توقعات المقاومة من المسلمين ؛ لسبق تعبئتهم بالاسترخاء والتبذل .

8. ثم غاية الغايات : بسط جناح الكفرة من اليهود والنصارى والشيوعيين وغيرهم على العالم بأسره ، والتهامه ، وعلى العالم الإسلامي بخاصة ، وعلى العالم العربي بوجه خاص ، وعلى قلب العالم الإسلامي ، وعاصمته : " الجزيرة العربية " بوجه أخص ، في أقوى مخطط تتكالب فيه أمم الكفر وتتحرك من خلاله ؛ لغزو شامل ضد الإسلام والمسلمين بشتى أنواع النفوذ : الفكري ، والثقافي ، والاقتصادي ، والسياسي ، وإقامة سوق مشترك ، لا تحكمه شريعة الإسلام ، ولا سمع فيه ولا طاعة لخلق فاضل ولا فضيلة ، ولا كسب حلال ، فيفشو الربا ، وتنتشر المفسدات ، وتدجن الضمائر والعقول ، وتشتد القوى الخبيثة ضد أي فطرة سليمة ، وشريعة مستقيمة .

وإنا لنتلو قول الله تعالى : (إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) الأعراف/155" انتهى .

ويقول أيضا رحمه الله - في ختام رسالته السابقة - :

" يجب على المسلمين الكفر بهذه النظرية " وحدة كل دين محرف منسوخ مع دين الإسلام الحق المحكم المحفوظ من التحريف والتبديل الناسخ لما قبله " . وهذا من بدهيات الاعتقاد والمسلمات في الإسلام .

ويجب على أهل الأرض اعتقاد تعدد الشرائع وتنوعها ، وأن شريعة الإسلام هي خاتمة الشرائع ، ناسخة لكل شريعة قبلها ، فلا يجوز لبشر من أفراد الخلائق أن يتعبد الله بشريعة غير شريعة الإسلام .

ويجب على جميع أهل الأرض من الكتابيين وغيرهم الدخول في الإسلام بالشهادتين ، والإيمان بما جاء في الإسلام جملة وتفصيلا ، والعمل به ، واتباعه ، وترك ما سواه من الشرائع المحرفة والكتب المنسوبة إليها ، وأن من لم يدخل في الإسلام فهو كافر مشرك .

ولا يجوز لأحد من أهل الأرض اليوم أن يبقى على أي من الشريعتين : " اليهودية والنصرانية " فضلا عن الدخول في إحداهما ، ولا يجوز لمتبع أي دين غير الإسلام وصفه بأنه مسلم ، أو أنه على ملة إبراهيم .

نسأل الله سبحانه أن يهدي ضال المسلمين ، وأن يذهب عنهم البأس ، وأن يصرف عنهم كيد الكائدين ، وأن يثبتنا جميعا على الإسلام حتى نلقاه إنه على كل شيء قدير . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم " انتهى من رسالة " الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان " (ص5-103) .

وانظر في موقعنا الفتوى رقم : (10213) ، (10232) ، (128172) .

والله أعلم .